أسئلة دعوية

للعلامة الشيخ

محمد أمان الجامي

رحمه الله

س: في مصر- وفي غير مصر- الذين يعتقدون عقيدة غير عقيدة السلفية ما سبب اعتقادهم هذه العقيدة، وهل كتب السلف ما وقعت في أيديهم، ما عرفوا ما كان عليه السلف، أو عرفوا فأعرضوا عن ما عرفوا على علم، أو أنهم لم يعرفوا على الرغم من أنهم أساتذة وأكثرهم جامعيون؟

ج: هذا السؤال ليس بجديد، هذا السؤال من أسئلة الحرم، ولكن لا غرابة أن يعاد هذا لأن اليوم يوم الأسئلة -إن شاء الله-.

الجواب: هؤلاء بين أحد رجلين: رجلٌ عالمٌ ودارس المنهج الذي تخرج فيه ولكن لا يعرف عن منهج السلف شيئًا، ويحسب أن الإسلام الذي جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام هو ذلك الذي درسه، والعقيدة الإسلامية هي العقيدة الأشعرية التي درسها وتخرج فيها، لم يعرف غير ذلك، وكونه أستاذ جامعي ودكتور لا تأثير لهذا، والوقائع التي وقعت تشهد لذلك؛ لأن كثيرًا منهم بعد التخصص هداهم الله ففهموا فرجعوا، بعد أن اطلعوا على عقيدة السلف فهموا فرجعوا وكانوا دكاترة، فأصبحوا دعاةً على منهج السلف.

بمعنى: يجب أن نتصور وجود علماء أجلاء كبار موجهون في الجامعات وهم غير فاهمين في حكم الإسلام بالنسبة لمنهج السلف، هذا الواقع، لأن المنهج هُجر من فترة طويلة لا يُدرس، ولا وجود له في منطقتهم، ولكن الذي يفد على مثل هذا البلد ويختلط في الجامعات السعودية ببعض المشايخ أو يطلع في بلده بعد أن طُبعت الكتب التي تحمل العقيدة السلفية، وما طُبعت وانتشرت إلا في فترة قريبة في حدود الستينات بالتاريخ الهجري-، قبل ذلك كانت مهجورة في العالم، وفي السبعينات كنا إذا شرينا فتح المجيد وكتاب التوحيد وزودنا الحجاج قصدًا بهذه الكتب العوام يحملونها إلى بلادهم، والعلماء إما يتركونها في بيوت المطوفين والمزورين أو يرمونها في البحر، العلماء لا يحملون هذه الكتب إلى بلادهم لأنها تفسد عقيدة الشباب هناك -في زعمهم-.

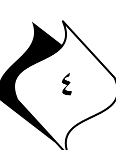
الشاهد: أننا نتصور من تجاربنا وجود علماء أجلاء كبار في البلاد الإسلامية والعربية وهم جهالٌ في باب العقيدة السلفية، وخصوصًا في باب الأسماء والصفات، وحتى في باب العبادة أحيانًا، لذلك لا نستغرب كثرة وجودهم وعدم الانتماء والدعوة إلى هذه الدعوة السلفية (عقيدة الصحابة). هذا فريق، هذا هو الأكثر.

ويوجد عدد آخر اختلطوا بالسلفيين واطلعوا على الكتب السلفية، فدرسوا ففهموا، ولكن حال بينهم وبين التأثر الظروف التي يعيشون فيها، مجاملتهم لجامعتهم لأنهم ينتمون إلى جامعة غير سلفية، مرتباتهم ووظائفهم ومناصبهم من تلك الجامعات، اعتناقهم للعقيدة السلفية يعتبر انفصال وترك تلك المناصب والوظائف فهذا صعبٌ عليهم، ومنهم من يراعي البيئة التي يعيش فيها والمجتمع الذي يعيش فيه ويرى أنها من العار والعيب عليه يأتي إلى العمل لهذا البلد ثم ينقلب ويرجع إلى بلده بغير العقيدة التي خرج بها من بلده، ويستصعب هذا الوضع، وهذا موجود، أقول موجود؛ لأننا اختلطنا بهم، زاملناهم في العمل، وربما عملوا تحت إدارتنا في فترةٍ من الفترات وتعاملنا معهم، وخبرناهم إنهم لا يخرجون من أحد رجلين؛ رجلٌ لم يفهم وهذا أرجو أن يكون معذورًا مع علمه وكثرة اطلاعه، ورجلٌ فهم ولكن حال بينه وبين التأثر والاستسلام للمنهج الصحيح مؤثراتٌ خارجية أي ما يتعلق ببيئته ومنصبه ووظيفته، ووضعه يشبه وضع أبي طالب الذي عرف صحة دين محمد عليه الصلاة والسلام وقال:

ولقد علمتُ بأن دين محمدٍ *** من خير أديان البرية دينا

لو لا الملامة أو مخاف مسبةٍ *** لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

وتلاحظون أن أبا طالب فهم، عرف أن ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام هو الدين الحق، خير الأديان، لكن خوف المسبة وخوف الملامة من قومه: أبو طالبٍ يغير دين آبائه؟ دين عبد المطلب فيتبع هذا اليتيم؟! كانوا يقولون هكذا لو اتبع محمد عليه الصلاة والسلام.



إذًا المعرفة شيء والإيمان شيءٌ آخر، والرجل عرف ولم يؤمن، هؤلاء الذين تبين لهم الحق ولكن خافوا من المؤثرات التي أشرنا إليها وضعهم يشبه وضع أبي طالبٍ تمامًا، وهذا كثير في الدول المجاورة.

الذي يدلك بين الشباب على وجود جهل في العلماء طالبٌ إفريقي مر في دولةٍ إسلاميةٍ عربيةٍ مجاورةٍ للسعودية قبل نحو عشرين سنة، فسأله كبار العلماء في تلك المدينة، اجتمعوا به في شهر رمضان فتعرفوا عليه، أخيرًا قالوا: إلى أين؟ قال: إلى السعودية، إلى أحد الحرمين، ماذا تريد؟ أريد أن أطلب العلم هناك، قالوا له: ما سمعتَ في السعودية لو سمعوك وأنت تقول أشهد أن محمدًا رسول الله تقطع رقبتك؟ اندهش الطالب، قال لهم: هذا ما هو صحيح، قالوا: هذا صحيح، ألهم الله الطالب الصغير جوابًا مفحمًا، قال لهم: ما يؤذن مؤذنهم للصلاة؟ قالوا: نعم يؤذن، قال: أما يقول في أذانه أشهد أن محمدًا رسول الله؟ ردوا الجواب التالي بلهجتهم المحلية قالوا: يعنون محمد حقهم، من محمد حقهم؟ محمد بن عبد الوهاب، بهذه العبارة. قال لهم الطالب: هل محمد بن عبد الوهاب ادعى النبوة؟ قالوا: هل في ذلك شك؟ قال لهم: غير صحيح، لماذا؟ قال: لو ادعى النبوة فهو مرتد، وما في الذين اتبعوه مرتدون، لا يمكن أن يمكِّن الله من الحرمين لقومٍ مرتدين يحكمون الحرمين، ثم جميع المسلمين ما كانوا يسكتون، كانوا يحاربونهم فيُخرجون من الحرمين، ونحن في بلادنا ما سمعنا أنه ادعى النبوة ولكن سمعنا أنه وهابي، قالوا له: إذا أبيت اذهب وانظر، فجاء إلى الحرمين، فصادف هذا في موسم الحج، فقال: كنت أتتبع الأذان (أشهد أن محمدًا رسول الله)، فحج، وبعد الحج في دار الحديث كانت في دار أرقم، ذهب إلى دار أرقم، فوجد الناس يدرسون الصحيحين، فوجد تفسير الجلالين الذي درسه في بلده موجود عندهم وبعض مواد اللغة العربية واستمع إلى الدرس وما وجد شيء، سأل الناس، الطلاب بعضهم أفارقة وهنود وباكستانيين، قال لهم: صحيح أنهم يقصدون بمحمد رسول الله محمد بن عبد الوهاب؟ ما هو محمد بن عبد الله؟ قالوا: لا تقل هذا

الكلام، إنه رسول الله هو محمدٌ رسول الله، حكى لهم القصة فضحكوا، قالوا: هذا غير معقول ولم يقع شيءٌ من هذا.

الشاهد: الذين فهموا هذا الفهم وأرادوا أن يفهموا الطالب الإفريقي هذا المفهوم علماء عرب دارسين، وعلى مقربةٍ من المملكة، كان المفروض أن يكونوا أعرف الناس، ولكن مع ذلك الشبهات والدعايات جعلتهم لا يفهمون الحقائق، لأن هذه الدعوة أول دخولها أرض الحجاز قامت ضدها دعواتٌ مضللة من العلماء المعاصرين، كزيني دحلان والنبهاني، وكتب النبهاني انتشرت في العالم خصوصًا في إفريقيا، في تلك الكتب من شروط الدخول في الوهابية أن يحلق الإنسان شعر رأسه ولو امرأة، وأن يعلن أن عصاه خيرٌ من محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وأن جميع آبائه وأجداده كلهم كفار فهو المسلم الوحيد، ثلاث شروط مكتوبة في كتب النبهاني المنتشرة في العالم؛ بمعنى أن الدعوة حوربت في أول قيامها، وكان الدعاة من سياستهم عدم الاشتغال بالردود، يعملون في النشر فقط، ولا يردون ولا يكتبون الردود ووسائل الإعلام المنتشرة الآن غير موجودة، لذلك كان من عبد الوهاب لما استقر أمره يكتب الرسائل تصوروا أنه يرسل ما أمكن بالبريد وما لم يمكن على أيدي الناس كالذي كان يرسلها النبي عليه الصلاة والسلام، كتبه التي كان يرسل على أيدي الناس إلى الأقاليم، الدعوة حوربت وقامت ضدها دعاياتٌ مضللة كثيرة كرَّهت الناس، وكان هذا اللقب الذي أنشأوا له (لقب الوهابية) في الخارج إذا سُمع يؤثر في الناس أكثر من سماع اليهودية والنصرانية، يعني حتى الفساق ما يريدون أن يسمعوا هذه اللفظة، حتى الذين لا يعرفون معناها، لكن لفظة الوهابية كانت مكروهة أشد من كراهة اليهودية والنصرانية، إذا كنا نتصور هذا الوضع عند انتشار الدعوة لا نستغرب أن يوجد علماء أجلاء دارسين ولكن يجهلون حقيقة هذه الدعوة، هذا هو الواقع؛ لذلك وجود العلماء الكبار وهم يحاربون هذه الدعوة، أو يجهلونها، أو لا يريدون تطبيقها إما لهذا الغرض، أو للهدف الذي ذكرتُ سابقًا، وبالله التوفيق.

س: المشرك الذي يعيش في هذه المجتمعات يُعذر بالجهل؟

ج: هذا سؤالٌ تكرر كثيرًا، ولعل هذا السائل ربما ما كان يحضر الدرس ولذلك سأل هذا السؤال الجديد بالنسبة له والقديم بالنسبة لكم.

فمسألة الإعلان بأن المشرك يُعذر بالجهل أو لا يعذر غير واردة، لا بد من دراسة أحوال وظروف والبيئة والمكان والزمان الذي يعيش فيها هذا الذي أشرك، لا بد من معرفة ذلك، ليس الذي يعيش الآن في القاهرة أو في الجزائر أو في باكستان أو في الهند مسلم يقع في شرك هناك كالمسلم الذي يقع في الشرك هنا، ولا بد أن نفرق بين مكانٍ ومكان، وبين زمانٍ وزمان، الناس الذين يقعون في الشركيات فيما مضى قبل انتشار الدعوة في الداخل والخارج وانتشار الدعاة الذين يصححون عقائد الناس الذين يقعون الآن في الإشراك حكمهم يختلف عن حكم الذين يقعون في الإشراك سابقًا، والذين لهم شبهات متأثرين بمشايخهم وبشيوخ الطرق ولا يخرجون من إرادتهم وضعهم يختلف عن وضع المسلم العادي الحر الذي إذا سمع وتبين له الحق يقبل أن يستشير الشيخ، لذلك المسلم الذي يقع في الإشراك يُعذر أو لا يُعذر لا يُطلق، ولا بد من هذا التفصيل، إنما عبرت بهذا التعبير.

ولا ينبغي للدعاة أن يطلقوا كلمة المشركين هكذا على المنتسبين إلى الإسلام الذين يدخلون المساجد فيصلون، وإذا جاء شهر رمضان فرحوا فصاموا، وإذا جاء الحج أنفقوا أموالهم فحجوا، وجاؤوا واعتمروا، ومع ذلك: أغثني يا فلان، أدركني يا فلان، هؤلاء نقول لهم: مسلمون مخطئون وهذا الخطأ قد يصل إلى درجة الكفر والردة وقد لا يصل، لا بد من دراسة أحوال الناس والتفصيل والتطبيق العملي، أما الإطلاق (فلانٌ مشرك، والجهة الفلانية مشركة والجماعة الفلانية مشركة) هذا سبابٌ وليس بدعوة، وتنفيرٌ وليس بأسلوب الدعوة، يجب أن نفهم هذا الفهم، والله أعلم.

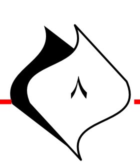
س: فهل الشروط التي نقول أنه خرج بها من الملة أن يكون عالمًا ذاكرًا مختارًا؟

ج: سؤال من شابٍ متحمس، فيقول: إذا وقع الإنسان في بعض الشركيات فهل نشترط أن يكون عالمًا مختارًا... إلخ؟

الجواب: نشترط التبين، هل تبين له الحق فخالف أم لا؟ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ [النساء: ١١٥]، لا بد من تبين الهدى، أما قبل أن يتبين الهدى والحق الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ولو كانت الرسالة عمت والإسلام انتشر. لكن تبين لنا أن مجرد انتشار الإسلام والعلم والفهم والوعي لم يحمل كثيرًا من الناس على تبين الهدى ولا يزالون يجهلون، الشرط الأساسي تبين الهدى أي العناد، الشخص الذي لا يُعذر من يعاند بعد أن تبين له الهدى والحق والصواب وما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ثم يعاند تعصبًا لجماعته ولمذهبه ولقومه ولبيئته، نفس الكلام الأول يُعاد.

سؤال متفرع يقول السائل: أليس الواجب أن يجتهد هذا الشخص في طلب الحق حتى يتبين له الحق، بحيث أنه إذا تقاعد وتقاعس فلم يطلب الحق أنه لا يُعذر؟

ج: هذا السؤال وارد، لكن إذا كان الإنسان عاميًا ليس في إمكانه أن يطلب هذا الحق لأنه يحسب أنه على الحق، هذا له وضع، لكن إنسان دارس التبس عليه الحق، ولكنه قصر في طلب الحق حتى يتبين له، تكاسل اكتفاءً بما كان عنده هذا لا يُعذر، أما من اجتهد وبذل كل ما في وسعه لمعرفة الحق فلم يتبين له الحق مع اجتهاده وبذل كل ما في استطاعته ليعرف الحق فلم يعرف الحق هذا معذور مائة في المائة، أمثال هؤلاء تحدث عنهم شيخ الإسلام، يتصور هذا كثيرًا في باب الصفات؛ لأن باب الأسماء والصفات بابٌ كبير، قد يجتهد الإنسان ليعرف ما كان عليه الصحابة في هذا الباب ولا يتبين له الحق، إما لعدم كتب أو لعدم معلم، أو لأسبابٍ أخرى لا يتبين له الحق، ومع ذلك مجتهد وينتصر للإسلام فيما فهم وينتصر للسنة في حدود ما فهمه، ولكن هناك عنده قصور في فهم بعض الجوانب في باب العقيدة وغير قادرٍ على أن يعالج هذا القصور فهؤلاء معذورون، ضربنا الأمثلة لهؤلاء بكثيرٍ من أئمة الحديث الذين يقعون في التأويلات كالحافظ بن حجر العسقلاني والإمام



النووي والإمام الشوكاني والذهبي أحيانًا، هؤلاء معذورون لأنهم لم يقصروا في طلب الحق، طلبوا الحق واجتهدوا وبذلوا كل ما في وسعهم، وما فهموه من الإسلام عملوا به، وانتصروا للسنة، فنشروا السنة ودافعوا عن السنة، ومع ذلك تجد أنه يؤول تأويلاً لا يؤوله إلا عامي، ماذا تقول في حقه؟ فيقول: الأصابع مستحيلة في حق الله تعالى لأن هذه جوارح، اليد مستحيلة في حق الله وهذه جارحة، معناه أنه لم يفهم من نصوص الصفات إلا كما يفهم في حقوق بني آدم، أو في حق المخلوق، كما يقول الجويني الأب.

المسألة تحتاج منكم –أيها الشباب– دراسة، وبحمد الله الكتب التي تشرح مثل هذه المواقف موجودة، وكانت مهجورة والآن مطبوعة ومحققة ومنتشرة وفي متناول أيديكم، عليكم أن ترجعوا إلى فتاوى شيخ الإسلام، وإلى مجموع ابن القاسم، وإلى درء التعارض بين العقل والنقل، ولشيخ الإسلام مواقف خلاف ما تتوقعون وخلاف ما يتوقع خصومه، خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية يعتقدون أنه من أشد الناس ومن المنفرين المتشددين وإذا درست تجد أنه بالعكس، ألين واحد وأقرب واحد في الدعاة وفي علماء السلف هو شيخ الإسلام، وأكثر الناس التماسًا للأعذار للناس، ولعل الذي يدلكم على هذا الكتيب الصغير رفع الملام عن الأئمة الأعلام يطبق شيخ الإسلام هذا الكتاب في الأصول والفروع، لا كما يعتقد كثيرٌ من الناس بأن الجاهل إنما يُعذر في الفروع فقط، أما في الأصول فلا؛ فهو من الذين يرون أن الجاهل يُعذر بجهله بالشروط التي تقدمت حتى في الأصول، والله أعلم.

السائل يسأل عن هذا الكتاب.

هذا الكتاب في الواقع كتاب عظيم جدًا، ولكن الكتاب جُمع ولم يحقق، قد توجد في هذا المجموع الكبير بعض العبارات التي يجزم من يعرف الشيخ وعقيدته بأنها مدسوسة عليه، وربما وجدتُ من باب المثال وإن كانت المسألة ليست بذلك المستوى مسألة حياة الخضر. تجد في المجموع كلامًا يقرر حياته وفي موضعٍ آخر كلامًا يقرر وفاته، هذا موجود، وفي بعض الكتب بعض عبارات غير موجودة في بعض النسخ خصوصًا النسخ القديمة التي

كُتبت بأيدي تلاميذه كابن عبد الهادي، ونجد فيها أشياء لا تليق بعقيدته ولا بعقيدة السلف؛ بمعنى أن هذا المجموع بحاجة إلى التحقيق، وبلغني أن جامعة الإمام بدأت في التحقيق وأرجو أن يكون ذلك الخبر صحيحًا، كما حققت المنهاج، وكما حققت درء التعارض، بلغني أنهم وزعوا أجزاء على كبار طلبة العلم بالرياض للتحقيق، إن تم تحقيق هذا الكتاب هذا من سعادة طلاب العلم؛ لأن الكتاب فيه علوم من جميع المواد يقال فيه: كل صيدٍ في جوف الفرا، إذا تم تحقيقه، وأما الآن فينبغي التحفظ عند قراءته، والله أعلم.

س: القول بأن الأشاعرة من أقرب طوائف أهل الكلام إلى منهج السلف، إلى أهل السنة، ما صحة هذا التعبير؟

ج: القول بأن الأشاعرة من أقرب طوائف أهل الكلام إلى أهل السنة هذا التعبير صحيح، لكن ليس مفهومه البحث في أهل القبلة وغير أهل القبلة، إنما البحث في المبتدعة والسنيين، يعني الفرق المخالفة لمنهج السلف لا نحكم عليهم بأنهم ليسوا من أهل القبلة، لأن الحكم عليهم بأنهم ليسوا من أهل القبلة هو حكم عليهم بالكفر، جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام -إذا استثنينا الجهمية- كلهم ينتسبون إلى الإسلام؛ أي فرق إسلامية مبتدعة، لا يلزم من نفينا عن منهج السلف والحكم عليهم أنهم مخالفون لمنهج السلف لا يلزم من ذلك تكفيرهم، إنما مفهوم ذلك أنهم مبتدعة، وليس كل مبتدعٍ كافر، البدعة قد تكون مكفرة وقد تكون غير مكفرة، لم يتجرأ أتباع السلف على تكفير الطوائف المنتسبة إلى الإسلام إلا الجهمية وغلاة الروافض الذين حرق رؤساءهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، الذين ألهوه واعتبروه إلهًا هؤلاء كفار، والجهمية أي جهم بن صفوان ومن على عقيدته الذين أنكروا كل شيءٍ في حق الله تعالى إلا الوجود الذهني ولم يثبتوا لله تعالى حتى الوجود الخارجي هؤلاء كفار، ومن دونهم تكفيرهم بالقاعدة لا تكفير بالعين، كأن يقال: من قال بأن القرآن مخلوق فهو كافر، هذا تكفير بالقاعدة، ومن نفى صفةً ثابتةً بالكتاب

والسنة فهو كافر وهذا تكفير بالقاعدة، ولكن لا يقال: الطائفة الفلانية كافرة والفريق الفلاني كافر، لا يقال هذا في غير الجهمية وغلاة الروافض.

أما الأشاعرة الذين هم محل السؤال فكونهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى أهل السنة والجماعة، ولكنهم خالفوا الجماعة في عقيدتهم في باب الأسماء والصفات، من الجماعة؟ الصحابة، خالفوا الصحابة في باب الأسماء والصفات حيث أوجبوا تأويل كثير من نصوص الصفات التأويل الذي أدى إلى نفي الصفات، كنصوص العلو ونصوص صفة الكلام، تأويلهم في هاتين الصفتين تأويلٌ أدى إلى نفي صفة الله تعالى، لذلك بهذا خالفوا الجماعة وخالفوا السنة؛ أي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم سلطوا الأدلة العقلية على سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وحتى على نصوص الكتاب، وبذلك خالفوا الكتاب والسنة، وليس في الكتاب والسنة ما يوهم الباطل، فعند الأشاعرة بعض النصوص توهم الباطل فيجب تأويلها، يقول في ذلك قائلهم: وكل نصٍ أوهم التشبيه أوله أو فوضه ورُم تنزيها، هذا المعنى عند أتباع السلف معنى باطل، اعتقاد أنه يوجد في آيات الكتاب وفي الأحاديث الصحيحة ما يوهم باطلاً، يوهم وصف الله بما لا يليق به مستحيل أن يوجد مثل هذا، اتهام القرآن والسنة بهذا مخالفةٌ للكتاب والسنة، إذًا خالفوا الكتاب والسنة، وليسوا من أهل السنة والجماعة.

ولو أردنا أن نتتبع النقاط التي خالفت فيها الأشاعرة أهل السنة لوجدنا أولًا في باب الأسماء والصفات كما تعلمون؛ إثبات بعض الصفات لكن إثباتًا عقليًا، لا إثباتًا شرعيًا؛ أي حتى الصفات التي أثبتوها لم يثبتوا بأدلة الكتاب والسنة ولكن أثبتوها بالأدلة العقلية، عدا ثلاثة صفات ادعوا أنهم يثبتوها بالأدلة النقلية السمع والبصر والكلام، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] استدلال شكلي ولكن الاعتماد على الأدلة العقلية، وبهذا خالفوا أهل السنة والجماعة. وفي باب أفعال العباد مخالفون لأهل السنة والجماعة لأنهم يرون قدرة

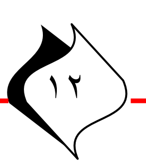
العبد لا تعمل، إنما التأثير لقدرة الله تعالى، فقدرة العبد لا تأثير لها، ومخالفون لأهل السنة والجماعة في باب رؤية الرب سبحانه وتعالى في الدار الآخرة لأنهم يرون أن المؤمنون يرون ربهم من غير مقابلة، أي أن الله سبحانه وتعالى يكشف عنهم الحجاب فيعلمونه علمًا عامًا أو يرونه من جميع الجهات فرارًا من إثبات العلو، وهذه مخالفة صريحة لأهل السنة والجماعة، تكفي مخالفةٌ واحدة من هذه المخالفات في نفيهم عن صف أهل السنة والجماعة، ثم يكفي للحكم لقربهم من الجماعة إثباتهم لبعض الصفات وتعويلهم على التأويل لا على النفي في بقية الصفات، والله أعلم.

س: الباطنية هل هم من أهل القبلة؟

ج: الإسماعيلية الباطنية ليسوا من أهل القبلة، وإن كان كثيرٌ من الناس لا يعرفونهم، الباطنيون أولوا الشريعة كلها ليس الصفات فقط، الحج والصلاة والصيام.. الشريعة كلها ليست على ظاهرها، كلها مؤولة، بمعنى أنهم أتوا بدينٍ غير الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وليسوا من أهل القبلة، وهم يعدون من غلاة الشيعة ولكن أكثر تطرفًا من الإمامية الجعفرية، والله أعلم.

س: السؤال ما حكم نشر السنة؟

ج: نشر السنة واجب، ويفعل بعض الشباب من باب نشر السنة جعل نعليه بين قدميه في الصلاة عملاً بالسنة، لأن السنة إما أن يصلي فيه الإنسان فيصلي في نعله، أو يجعله بين قدميه، لا يجعله أمام الناس يؤذيهم ولا يجعله خلفه لأنه يؤذي الذي خلفه، السنة –كما تعلمون وفيكم بحمد الله طلاب كلية الحديث الذين نحن بحاجة إلى أن نستفيد منهم– السنة ما فعله هذا الطالب، إذا لم يتمكن من الصلاة فيهما لأنه لا يتمكن الآن من الصلاة فيهما في المسجد النبوي وفي غيره وأصبحت هذه السنة مهجورة، ومحرمة عند كثيرٍ من الناس دخول المسجد بالنعل، لكن إذا تمكن أن يجعله بين قدميه، ولو جعله في كيس نايلون كما يفعل بعض الناس ليستره، وبذلك يريد إحياء هذه السنة هذا لا يُنكر عليه.



وأما فتح الذراع يساوي الصلاة في النعلين نترك هذا البحث لطلاب كلية الحديث من أي نوعٍ هذه السنة، هل هي سنة عادية أو سنة شرعية يثاب عليها فاعلها.

السنة -كما تعلمون-: سنة عادية وسنة شرعية، تربية الشعر وتفريق الشعر من النصف ولبس العمة هذه سنة عادية، إلا أنها خيرٌ، فلبس العمة خيرٌ من طيلسان، لأنها سنة عادية عمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن كذلك تربية الشعر والتفريق وحمل العصا هذه من السنن العادية؛ بمعنى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه وفيهم هذه العادة واستحسنها ليست عادة قبيحة، العادات القبيحة حاربها، والعادات الطيبة كلبس العمة عمل بها، وكان بعض علماء الحديث يحب أن يأكل الدباء قال: لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يحبها، لذلك في النفس بعض الشيء هل من فعل بالعمة على الطريقة التي كانت يفعلها النبي عليه الصلاة والسلام ومن ربى شعره بتلك الطريقة وحمل العصا حبًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يثاب بهذه النية الطيبة، لا لهذا العمل، وإن كان العمل عاديًا، هذه هي السنة العادية.

ومسألة فتح الذراع أنا أعتقد من هذا القبيل.

مسألة وسائل نشر السنة:

وسائل نشر السنة ونشر الدعوة كثيرة، وما فعل هذا الطالب من الوسائل.

ومن وسائل إحياء هذه السنة ونشرها سنة الصلاة في النعلين -وقد تُركت وحوربت في كثيرٍ من الأقطار- ينبغي أن يعمل الطالب بذلك إما في بيته أو في مثل هذه الرحلة، حيث في إمكان كل إنسان أن يلبس نعليه ويصلي فيهما، إذا كان لا يتمكن من العمل بهذه السنة في المساجد المفروشة، لكن في البرية وفي منزله وفي المساجد التي لا تزال مفروشة بالرمل يمكن العمل بها وإحياؤها.

المهم: العلم قبل القول والعمل؛ أن يعلم الإنسان بأن هذه سنة، المراد بالسنة هنا الطريقة، ليست السنة عند الفقهاء خلاف الواجب، أي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، من عرف أن شيئًا من هديه عليه الصلاة والسلام نُسي أو جُهل أو حورب فينبغي أن يحرص على إحياء ذلك ونشر تلك السنة بين الناس.

بهذه المناسبة؛ مسألة وسائل نشر الدعوة كان عندي سؤال في هذا المعنى، وسائل نشر الدعوة كثيرة اليوم؛ ففي إمكان كل واحدٍ منا أن يعمل بتلك الوسائل.

من وسائل نشر الدعوة أولًا: التطبيق العملي، التطبيق العملي الذي يأتي بعد العلم، وكون طلاب العلم يدرسون ولا يطبقون عمليًا هذا يتنافى مع نشر الدعوة ونشر السنة، كما يحصل من كثيرٍ من العلماء في كثيرٍ من الجامعات تجد المدرس، الأستاذ أو الدكتور يدرس مادة الحديث ولكن لا يعمل بشيءٍ من الأحاديث إلا الواجبات، ويدرِّس التفسير، ويدرِّس الفقه، ويشرح للناس السنن والآداب الإسلامية ولكنه عارٍ عن العمل لا يطبق، ربما تلميذه انتقد عليه مخالفات كثيرة إذا كان الطالب جريء كشبابنا الذين عندهم جرأة مع التزام، قد ينتقد طالب على شيخه الحليق، وعلى شيخه الذي يسحب ثوبه على الأرض، وعلى شيخه الذي لا يحضر الجماعات، وعلى شيخه وهو إمام مسجد فإذا أخذ إجازة جلس في القهوة يشرب الشيشة، إذا قالوا: يا مولانا أذن، يقول: أنا في إجازة اليوم، هذا من المشايخ، أنواع في الدنيا من المشايخ، هؤلاء مدرسون كبار جامعيون أمثال هؤلاء قد ينتقد الطالب عليهم، أمثال هؤلاء العلم حجةٌ عليهم، لئلا نكون مثلهم لا نقول هذا من باب الانتقاد ولكن نقول من باب العبرة، ليعتبر طالب العلم، ينبغي إذا أردنا أن ندعو إلى الله أن نبدأ بالتطبيق العملي حسب المستطاع، لذلك قلت لكم مسألة الصلاة في النعال، مع العلم أنها كانت سنة معروفة ومشهورة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة وإلى وقتٍ قريب في بعض المناطق وأظن إلى الآن في المنطقة الوسطى هنا في المملكة في البوادي في مساجد غير العاصمة وإلى الآن، والناس بدون تحفظ يمسح الإنسان نعليه عند الباب

فيدخل فيصلي فيهما فيخرج بهما، إذا كانت هذه السنة حوربت في كثيرٍ من البلدان وفي بعض المناطق الراقية من حيث المساجد لأن المساجد بُلطت وفُرشت ينبغي أن يحييها في غير تلك المساجد اتقاءً للفتنة وابتعادًا عن الفتن.

من وسائل نشر الدعوة ما أنتم عليه، خروج الشباب مع المدرسين الرحلات والمعسكرات كل هذه من وسائل نشر الدعوة إذا حسنت النية، وحسن التصرف في ذلك، ولو دُعي طلاب من غير جامعتكم ومن غير بلدكم إلى مثل هذه المعسكرات ليلتقي شباب المسلمين في مثل هذه المعسكرات ليؤثر هؤلاء الشباب في أولئك الشباب أسلوبٌ من أساليب الدعوة، لأن كثيرًا من الشباب الصالحين في كثيرٍ من الجامعات يوجدون، ما من جامعة حسب زياراتي للجامعات في البلاد العربية إلا ويوجد في طلابها مجموعة صالحة، وربما يكونون أشد تمسكًا وتحمسًا للسنة من الموجودين هنا، هذا ما شاهدناه.

من باب المثال الصريح جامعة القاهرة جامعة معروفة خليط تعليم بين البنين والبنات، زرنا هذه الجامعة مع وفدٍ طلابي من الجامعة الإسلامية، ومن باب موافقة القدر عند دخولنا يخرج الطلاب والطالبات من الفصول إلى حرم الجامعة، كل شابٍ في يده يد شابة، وانتشروا كأننا دخلنا في حديقة الحيوانات، واندهش واستغرب طلابنا، مررنا بسرعة، فدخلنا عند المدير، فجلسنا نتحدث عن هذا الوضع هل يمكن تغييره أم لا، فإذا يوجد نخبة من الشباب الملتزمين بين هؤلاء الطلاب منحازين في زوايا من حرم الجامعة، فإذا هناك شابات ملتزمات بحجابٍ أغلظ من حجاب نسائنا هنا في السعودية مجتمعات في زاوية من الزوايا كأنهن خيمات لا ترى منها شيء لا الوجه ولا القدم، في جامعة القاهرة، وقال مدير الجامعة: يا شيخ، تغيير هذا الوضع صعب، إلا إذا كنتم أنتم أسعفتمونا وبواسطة جامعاتكم يمكن التغيير فيما بعد، استأذن طالب فقال: أما نحن فقد طبقنا بحمد الله تعالى على أنفسنا وعلى بناتنا، شاباتٌ لا يركبن الباصات ولا أي وسيلة من وسائل النقل إلى الجامعة، إما تأتي ماشيةً على قدمها أو مجموعة يأخذون تاكسي. فيأتون إلى الجامعة،

يعيشون بهذه الطريقة، شباب وشابات في أشد الالتزام، وعقيدتهم سليمة، تأثروا برسائل شيخ الإسلام التي كان قصي. ولد محب الدين الخطيب ينتقيها من كتب والده ومن كتب شيخ الإسلام وابن القيم فيطبعها في مكتبة تسمى المكتبة السلفية، الطلاب تأثروا من هذه المكتبة، ولذلك لما هاجمتهم الجاهلية فسجنوهم قالوا لهم: خلو ابن تيمية يأتي يفككم، لأنكم أتباع ابن تيمية، هكذا يسخرون منهم.

الشاهد: الالتزام أهم من كل شيء في باب الدعوة؛ أن يكون الإنسان ملتزمًا ومطبق، في مثل هذه الرحلات –أقصد رحلات الجامعة ومعسكرات الجامعة– لو حصل دعوة شباب المسلمين والشباب الجامعيين من الدول العربية والإسلامية ليحضروا مثل هذه المعسكرات ويختلطوا بشبابنا وطلابنا الذين تأثروا بهذا الجو الإسلامي، هذا وسيلةٌ من وسائل الدعوة.

انتقلنا من القاهرة إلى الإسكندرية في جامعة الإسكندرية، وجدنا شبابًا في الواقع أنا قلت لشبابنا: أرجو أن تعيشوا مع هؤلاء الشباب برهةً من الزمن لتتأثروا بهم، ووجدناهم أكثر تمسكًا وأكثر التزامًا وتطبيقًا للسنة من الشباب الذين أخذناهم من هنا من الجامعة الإسلامية إلى مصر، لأن بين الشباب الذين أخذناهم من يريد أن ينفلت، كنا نحافظ عليهم كراعي الغنم، ما كنت أنام في الفندق حتى يناموا، خشية أن ينفلت بعضهم في ذلك الجو حتى سلم الله ورجعوا بالسلامة قبل أن ينفلتوا، لكن في ذلك الجو الجاهلي تجد شبابًا في سنهم أشد التزامًا ويسخرون من هذه الجاهلية فضلاً عن أن ينفلتوا فيها، ولا يرون ولا يفكرون في أن ينفلتوا فيها بل يحاربونها، لذلك قلتُ للشباب: عيشوا معهم فترةً من الزمن لعلكم تتأثرون بهم وتوفروا علينا تعب المحافظة عليكم كراعي الغنم.

الشاهد: يجب أن تتصوروا أنه يوجد شباب مسلمون متمسكون وملتزمون في كثيرٍ من الجامعات وهي لا تطبق الإسلام في منهجها ولا في سلوكها، أولئك تستغرب كيف حياتهم وكيف يعيشوا في ذلك الجو؛ ليس هناك الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر ولا سلطة

مراقبة ولا من يسجل عليهم الغياب والحضور، ولكن بوازعٍ ديني من عند أنفسهم، لذلك أنا أكرر تنبيهًا لنفسي ولشبابنا أن نجتهد في مسألة التمسك والالتزام في أنفسنا، حتى يلفت ذلك أنظار الذين يزوروننا، يقولون: لماذا؟ يعني هذا الزي هو الزي الإسلامي؟ يسأل وعند ذلك أنت تجيب، لكن عند ما يأتي من الخارج من جوٍ غير إسلامي إلى هذا البلد الإسلامي ويجد في طلاب الجامعات الإسلامية في هذا البلد عدم التمسك وعدم الالتزام كيف يكون الوضع؟ تناقض، ومن الصعب أن يدعو هذا الشاب غير الملتزم وغير المطبق لتعاليم الإسلام وغير العامل بما علم، من الصعب أن يدعو الناس وأن يجيب على تساؤلاتهم لو سئل، لأنه يقع في التناقض، هذه وسيلة من أهم الوسائل في الدعوة إلى الله.

ومن الوسائل في الدعوة إلى الله أن يستغل الشباب إجازاتهم، لا يستغلونها في التمشية والتفسح في بعض البلدان الباردة تغييرًا للجو -كما يقولون-، ينبغي أن يستغلوها في الدعوة والتبليغ، كلٌ في بلده، وبحمد الله تعالى الآن ما من بلدٍ إسلامي بل غير إسلامي إلا والدعوة الإسلامية بمفهومها الصحيح منتشرة، تختلف البلدان قلةً وكثرةً في الجماعات التي تدعو إلى المنهج السلفي، وقد علمتُ من بعض الحجاج الذين يأتون من فرنسا أن مدينةً فرنسيةً تحولت إلى مدينةٍ إسلامية عربيةٍ سلفية من كثرة المساجد وكثرة المدارس، أولئك يأتون بالأتوبيسات كل موسم فطلبوا أن أسافر معهم في الأتوبيس وآتي معهم في الموسم في الأتوبيس، يحسبون أني مثلهم في التجلد ولا يحسبون أن نحن الآن في جوٍ رطبٍ سهل لم نتعود تلك الأسفار الشاقة، يأتون من هناك بالأتوبيسات الخاصة بهم لا يختلطون بغيرهم، ويسجلون دروس الحرمين ويرجعون بهذه المسجلات ويدعون إلى الله فأثروا في البلاد، في الجاليات غير الفرنسية وفي الفرنسيين، إلا أنهم يشكون شكوى مُرة في العام الماضي وجود جماعاتٍ إسلامية منافسة للدعوة السلفية، وبدأت هذه الجماعات بتوزيع الناس بالانتماء: إلى جماعتنا، إلى جماعتنا، إلى جماعتنا، ما كانوا يعرفون هذا التفرق.

ومن وسائل الدعوة إلى الله عدم إفساح المجال للجماعات، ومحاربة التجمعات والتفرقات بالحكمة، كلمة المحاربة وإن عبرتُ بها لا تعني الشدة؛ أي ينبغي معارضة التجمعات والتفرق والانتماءات إلى الجماعات الكثيرة. أخطر شيء على سير الدعوة وجود الجماعات؛ لأن وجود الجماعات معناه وجود التفرق، وهذا التفرق يؤثر في سير الدعوة، أيما بلدٍ زرناه إن لم تكن هناك إلا جماعة تدعو إلى هذا المنهج نجد الدعوة تسير سيرًا حثيثًا وتؤثر حالًا في المجتمع، فإذا وُجدت جماعات رجعت الجماعات فيما بينها تحارب بعضها بعضًا، ويتركون المجتمع على ما هو فيه، ويبقى المجتمع على ما هو فيه، وتكون المنافسة والكتابات ضد بعضها إلى إدارات البحوث، إلى من يعلمون: الجماعة الفلانية فعلت كذا والجماعة الفلانية فعلت كذا، وتصبح شكايات ومحاربات، محاربة فيما بينهم، ويتركوا المجال للمنصرين وللمتصوفة يعملوا عملهم.

لذلك أرجو من شبابنا ألا يغتروا بهذه الانتماءات، وهذه الانتماءات ضارة، وأقول هذا عن تجربة، اسأل مجربًا ولا تسأل طبيبًا، هذه الجماعات جربتها، من أول شبابي إلى يومنا هذا أنا معهم، وعرفت أن سلبياتها أكثر من إيجابياتها، وعرفت من كثيرٍ من الجماعات أنها حركةٌ سياسيةٌ طموحة لا تريد إلا الوصول إلى الكرسي بأي وسيلة، ولذلك لا تريد أن تصارح المجتمع بالأمراض المنتشرة في المجتمع كالشرك والوثنية والبدع، لأن هذا يشتت ويفرق وهم يريدون الجمع بأي طريقة، المريض مع الصحيح، المحدث مع المتوضئ، الكل يمشي، هذه ليست دعوة، الدعوة دعوة تصحيح، دعوتنا الآن ليست دعوة تأسيس، دعوتنا متى تكون دعوة تأسيسٍ؟ إذا كنا نعمل في بلاد غير إسلامية، أما في البلاد المنتسبة إلى الإسلام دعوتنا دعوة تصحيح، لأن المسلمين في كل بلد بحاجة إلى تصحيح عقائدهم وتصحيح اقتصادهم وتصحيح عباداتهم وتصحيح سياساتهم، كلٌ منا في مستوى علمه وفهمه يقوم بهذا التصحيح، هذه هي الدعوة، الدعوة التي يقوم بها إخوانكم الآن في الآفاق دعوة تصحيح.

ولا ينبغي أن يتهمنا غيرنا بأننا نحكم على جميع المسلمين بالكفر ونحاول أن ندخلهم في الإسلام من جديد، هذه تهمة باطلة، دعوتنا للتصحيح لا للتأسيس؛ لأن الناس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولكن يخطئون في معنى لا إله إلا الله وفي معنى محمدٌ رسول الله وفي مفاهيم كثيرة في الإسلام، هذه أخطاء تُصحح، فأهم شيء التطبيق العملي والمحافظة على وحدة صف الشباب، الوحدة أهم شيء، ما لم تتحد صفوف الشباب وما دام ينتمون إلى جماعات مختلفة سوف لا يؤثرون في غيرهم بالدعوة، لأنك لو دخلت قريةً ودعوت إلى المنهج الذي تقتنع به ودخل شابٌ آخر مسلم متعلم ولكن يختلف معك في المنهج وأراد أن يدعو إلى منهجه حصل التضارب والتناقض، والجماعات كثيرة اليوم، لست بحاجةٍ إلى التنصيص على أسمائها، فينبغي الحرص على التطبيق وعدم الشدة والتنفير عند الدعوة.